الموارد البشرية في القرآن الكريم

وأثرها في التنمية الاقتصادية

أ.م.د. أحمد رشيد حسين

أ.م.د. سناء عليوي عبد السادة

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

Ahmed.Hussein@cois.uobaghdad.edu.iq

Sanaa.aluey@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص

الاستثمار في تنمية الموارد البشرية أمر مهم وضروري، لما للموارد البشرية من أهمية قصوى، فهي الثروة الحقيقية والرئيسة للأمم، والأمم المتقدمة أيقنت تلك الحقيقة، فأحسنت التخطيط الاستراتيجي، ونفذت برامج محددة لتنمية هذه الثروة البشرية على مدار عقود من الزمن، ونجحت فيما خططت ونفذت. فالعنصر البشري بما لديه من قدرة على التجديد، والإبداع، والاختراع، والابتكار، والتطوير، يمكنه أن يتغلب على ندرة الموارد الطبيعية، وألا يجعلها معوقًا نحو النمو والتقدم، عن طريق الاستغلال الأفضل إن لم يكن الأمثل لطاقات المجتمع العلمية والإنتاجية، فضلاً عن الاستغلال الرشيد للموارد الطبيعية والاستثمارات المتاحة. وإذا كنا في الوطن العربي نعاني من ازمات اقتصادية كبيرة يأتي في مقدمتها في رأينا هو النظرة السلبية الى الموارد البشرية والتفريط فيها، نلحظ ان المشكلة التي تريد هذه الورقة البحثية الإشارة اليها تتمثل في أن الموارد البشرية تعدّ من اهم الموارد في المنظومة الاقتصادية واصلاً من أصولها، ولا يمكن تحقيق النجاح الاقتصادي ما لم يتم الاستثمار في الجانب البشري. كما أننا اردنا في هذا البحث الكشف عن خصائص ومميزات النظام الاقتصادي الإسلامي متمثلاً بكتابه المعجز القرآن الكريم، وقد قسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، جعل المبحث الأول للتعريف بالموارد البشرية، والثاني النظرة القرآنية للموارد البشرية وعلاقتها بالتنمية المستدامة، والثالث للموارد البشرية والتنمية المستدامة. ثم خاتمة وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الموارد البشرية، القرآن الكريم، التنمية الاقتصادية.

Abstract

Investing in the development of human resources is an important and necessary matter, because human resources are of the utmost importance, as they are the real and main wealth of nations, and developed nations have realized this fact, improved strategic planning, and implemented specific programs for the development of this human wealth over decades of time, and succeeded in what they planned and implemented. The human element, with its capacity for renewal, creativity, invention, innovation and development, can overcome the scarcity of natural resources and not make it an obstacle towards growth and progress, through the best, if not optimal, utilization of the scientific and productive energies of society, as well as the rational exploitation of resources. Natural and available investments. And if we are in the Arab world suffering from major economic crises, the foremost and most important of which, in our opinion, is the negative view of human resources and neglecting them. The problem that this research paper wants to refer to is that human resources are one of the most important resources in the economic system, originally from Its origins, and economic success cannot be achieved unless the investment is made in the human side. Also, this research paper also wanted to reveal the characteristics and advantages of the Islamic economic system represented by its miraculous book, the Noble Qur'an. The research was divided into an introduction, three topics, and a conclusion, making the first topic to define human resources and the second The Quranic view of human resources and their relationship to sustainable development, and the .third is human resources and sustainable development

.Then a conclusion and recommendations

Keywords: human resources, the Holy Quran, economic development.

المقدمة:

الاستثمار في تنمية الموارد البشرية أمر مهم وضروري، لما للموارد البشرية من أهمية قصوى، فهي الثروة الحقيقية والرئيسة للأمم، والأمم المتقدمة أيقنت تلك الحقيقة، فأحسنت التخطيط الاستراتيجي، ونفذت برامج محددة لتنمية هذه الثروة البشرية على مدار عقود من الزمن، ونجحت فيما خططت ونفذت. فالعنصر البشري بما لديه من قدرة على التجديد، والإبداع، والاختراع، والابتكار، والتطوير، يمكنه أن يتغلب على ندرة الموارد الطبيعية، وألا يجعلها معوقًا نحو النمو والتقدم، عن طريق الاستغلال الأفضل إن لم يكن الأمثل لطاقات المجتمع العلمية والإنتاجية، فضلاً عن الاستغلال الرشيد للموارد الطبيعية والاستثمارات المتاحة. إن الموارد الطبيعية والأموال المتوافرة لدولة ما برغم أهميتهما وضرورتهما الكبرى لا يغنيان أبدًا عن العنصر البشري الكفء، والماهر، والفعال، والمدرب، والمعد إعدادًا جيدًا مبنيًا على أسس علمية دقيقة، وهذه حقيقة راسخة على مر العصور والأزمان، فالأموال والموارد الطبيعية لا ينتجان منتجًا بذاتهما، فالبشر – بخصائصهم التي خلقهم الله عليها سبحانه وتعالى- هم القادرون على استخدام هذه الموارد بنسب متفاوتة من حيث الكفاءة والفعالية في العمليات الإنتاجية، للحصول على السلع والخدمات التي تعمل على تحقيق أقصى إشباع ممكن للحاجات الفسيولوجية للفرد، بهدف الوصول إلى تحقيق الرفاهية أو الحياة الكريمة للفرد والمجتمع، ومن ثم التقدم الاقتصادي للدولة، وللاقتصاد العالمي ككل، جاء في مجلة هارفارد (HARVARD BUSINESS REVIEW) عدد مارس ٢٠٠٧ مقال بعنوان: (اعظم عائدك من الأفراد)، يقول الكاتبان بأن المدراء مولعون بمقولة: إن (مواردنا البشرية هي ثروتنا الأكثر أهمية)، في حين أن الكثير من المسؤولين يعدون ويتعاملون مع الموارد البشرية ككلف! هذا خطير؛ لأنه بالنسبة للكثير من المنظمات الموارد البشرية هي المورد الوحيد للميزة التنافسية على المدى البعيد، فالمنظمات التي لا تستثمر في مواردها البشرية تخاطر بنجاحها بل بوجودها (Bassi&McMurrer,2007,p116)

وأصبح واضحاً بكل المعايير أن أي مجتمع ينشد النهوض في الجانب الاقتصادي لا بد له من ان يستثمر موارده البشرية وان لا يفرط فيها. ان المشكلة التي يريد هذا البحث الإشارة إليها تتمثل في أن الموارد البشرية تعدّ من اهم الموارد في المنظومة الاقتصادية واصلاً من أصولها، ولا يمكن تحقيق النجاح الاقتصادي ما لم يتم الاستثمار في الجانب البشري. كما اننا اردنا في هذا البحث أيضاً الكشف عن خصائص ومميزات النظام الاقتصادي الاسلامي متمثلاً بكتابه المعجز القرآن الكريم، فقد اشار القرآن الكريم إلى اهمية الموارد البشرية في التنمية الاقتصادية بل جعل القرأان الكريم محور ومدار العملية الاقتصادية الانسان ذاته اكثر من أي مورد آخر. فإن الله (عز وجل) قد أعلى من قدر الإنسان، إذ جعله أسمى المخلوقات وأكرمها عنده، فقال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الاسراء: ٧٠).

ومن ثم كان واضحاً أن التنمية الاقتصادية إنما تقوم بالإنسان ومن أجل الإنسان، وهو أيضاً غاية كل تنمية، حتى يستطيع القيام وباستمرار بتبعة العبادة، والتي تشمل جميع الأعمال وعلى رأسها إعمار الأرض وفقاً لشرع الله: (قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ) (الانعام :١٦٢). وبما أن الإنسان مستخلف في الأرض؛ فإن لهذا الاستخلاف تبعات تتمثل بالعمل على وفق المنهج الإسلامي، عبر الإعمار عملاً واستثماراً، تقوم به الأخلاق وتزكو به النفوس، ويحفظ به الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وعليه فإن قوامة الإنسان تعتمد على إخلاص النيات، وتبرز في المبادرات بالأعمال، وقوامة الأعمال تعتمد على القدرة والاستطاعة، وقوامة القدرة والاستطاعة تعتمد على الرزق والاقتصاد (التكسب) والصحة والعلم. ان المدقق الحصيف في نصوص الكتاب العزيز يجد انه يولي الموارد البشرية اهتماماً كبيراً وذلك في الكثير من نصوصه وهو يتميز بنظرة ثاقبة إلى البناء الاقتصادي حين يجعل مداره الإنسان. إن الهدف الرئيس من التنمية في المنظور القرآني هو خلق بيئة ملائمة للناس حتى يستطيعوا ان يعيشوا حياة أفضل وإن الإنسان هو هدف التنمية والتقدم، وتعدّ التنمية البشرية هي الركيزة التي تقوم عليها التنمية الاقتصادية؛ لأنه من دونها ليس هناك تنمية قابلة للاستمرار؛ لأن العنصر البشري يمثل أهم العناصر وأكثرها تعقيداً في عملية التنمية الاقتصادية. ان هذا البحث يهدف إلى الكشف عن اهم أسس المنهج التنموي القرآني في مجال الموارد البشرية مع ممارسة عملية تركيب نظري لتشكيل قاعدة البناء التحتي للمنهج التنموي القرآني من هذه الأسس المكتشفة، لذا كان ميدان هذه الدراسة هو القرآن الكريم فضلاً عن البعد الاقتصادي والفلسفي لتداخل المجال البحثي في هذه الابعاد بما يتطلبه سير البحث.

أهدف الدراسة:

تمحورت أهداف الدراسة حول عدة نقاط رئيسة، منها:

- بيان عصرية القرآن الكريم وسبقه لعلوم البشر.
- تبيان التنمية القرآنية الشاملة وما أعطاه الله تعالى لآدم (عليه السلام) وذريته.
- إرشاد المعاصرين في علوم الاقتصاد إلى روعة وجمال الفكر الاقتصادي في الإسلام.

فروض الدراسة:

ينطلق البحث من عدة فرضيات، هي:

- السبق القرآني الشامل.
- الأصل الاقتصادي في تنمية الموارد البشرية.
- شمول القرآن الكريم على مختلف عناصر إدارة الموارد كما سماها أهل التخصص.

منهج الدراسة:

اتسمت الدراسة بلونين من الوان مناهج البحث ومنها المنهج الاستنباطي، إذ تستنبط أصول إدارة تنمية الموارد البشرية وواقع التنمية الشاملة في القرآن الكريم في مختلف الآيات الكريمة، ومن الآيات التطبيقية العملية والواضحة بالقرآن في توجيهات الأمر والنهي والتي تؤدي إلى قواعد وأساليب وأهداف عملية التنمية الإدارية في القرآن الكريم، مع مراعاة خصوصية تطبيق هذا المنهج في الدراسات القرآنية.

خطة الدراسة:

قسم البحث على مقدمة هي هذه وثلاثة مباحث وخاتمة، جعل المبحث الاول للتعريف بالموارد البشرية والثاني النظرة القرآنية للموارد البشرية وعلاقتها بالتنمية، والثالث للموارد البشرية والتنمية الاقتصادية.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير اننا قد وفقنا للكشف عن المنهج القرآني في طرائق استنباط الموارد البشرية وحسن توظيفها، وان زلّ القلم او شطح الفكر فما ذاك الا لضعف البشر وقلة البضاعة، فنسأل الله السلامة من زلات القلم وشطحات الفكر.

المبحث الأول
مفهوم الموارد البشرية

قبل أن نتوسع في حقيقة وماهية هذا المفهوم لا بد من أن نشير إلى موقع هذا المفهوم من خريطة عملية الإنماء، وفي الواقع أن محل الموارد البشرية يُعدّ عنصراً مهماً من عناصر التخطيط الذي لولاه لم يتحقق المبتغى والهدف، فهو أحد خمسة عناصر مهمة، وهي: (السياسات، والوسائل والأدوات، والموارد المادية والبشرية، والإجراءات، والبرامج الزمنية، والموازنة التخطيطية، والتقديرية).[١] وبعد وقوفنا على مفاهيم التنمية البشرية التي هي ذات صلة بالموارد البشرية، نجد للمورد البشري مكانة رفيعة[٢]، إذ بدونه لا يفلح أي عمل ولا تطبق أي خطة، ومن هنا نجد هناك تداخلاً واضحاً من حيث هوية المفهوم والوظيفة والسبل بين مفهوم رأس المال البشري[٣] (الذي نشأ في الستينات وهو يتناول رأس المال البشري من حيث التعليم والمهارات والمعارف، من منظور مشابه لرأس المال المادي كالآلات وسواها، وهذا يتطلب منا التركيز على تعزيز قدرات الأفراد، وتحديداً بتزويدهم بالمهارات والتحصيل العلمي وقد أثر هذا المنهج على نشأة نهج التنمية البشرية)[٤]. فعلى الرغم مما أُكِّد بأن نهج الموارد البشرية كان مؤثراً في نشأة مفهوم التنمية البشرية وولادته فإن الكثير من المفكرين كان قد عمل على (تضمين مفهوم التنمية البشرية في نهج الموارد البشرية، لكن منهج الموارد البشرية يبقى محدداً بالمقارنة مع منظور التنمية البشرية الواسع والشامل، وحُدد نهج التنمية البشرية كمورد من موارد الإنتاج، لما يعُزز الفكرة القائلة بأن الأفراد هم فقط وسيلة للتنمية، وإذا كان لا بد من الاعتراف بقيمة الأفراد كوسيلة من وسائل الإنتاج، يبقى من غير العدل النظر إليهم من هذا المنظور الحصري)[٥].

وبسبب محورية الموارد البشرية في عملية التنمية أولاه الدارسون اهتماماً كبيراً، فتعددت تعريفاته، وعلى الرغم من كثرة التعريفات التي تناولت الموارد البشرية من حيث الصياغة إلا أنها تتحد –تقريباً- في المضمون وروح رسالتها، وقد جاءت هذه التعريفات مواكبة لتطور الفكر فيما يتعلق بالنواحي البشرية في المنظمات، وفيما يأتي مجموعة من هذه التعريفات:

عرفت الموارد البشرية بأنها (إجمالي الفعاليات الإدارية المفضية إلى تكوين، واستقدام، وتنمية، ودافعية، وتقويم، وصيانة، ومستقبل الموارد البشرية).[٦]

وقيل عنها أيضاً: (هي عبارة عن مجموعة من العمليات الجزئية، بدءاً من تخطيط هذه الموارد، ومروراً بإعداد نظم التحليل والوصف الوظيفي وإعداد نظم الاختيار والتعيين، ونظم تقويم أداء العاملين، ونظم الحوافز، وانتهاءً بوضع نظم التأديب ونظم السلامة المهنية، بما يحقق أهداف المنظمة).[٧]

١- وهي (النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات المشروع من القوى العاملة، وتوفيرها بالأعداد والكفاءات المحددة وتنسيق الاستفادة من هذه الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة).[٨]

ويعرف معجم المصطلحات الإدارية، الموارد البشرية Human Resources بالآتي: (يشمل هذا المصطلح جميع العناصر البشرية من المديرين، والعاملين، الذين يؤدون عملاً في المنشأة)[٩].

الموارد البشرية هي: (كل إنسانٍ يكون مصدراً للنفع، أو مكاناً للنفع، أو طريقاً إليه، أو يمكن له أن يكون كذلك)[١٠]. وإذا كانت هذه التعريفات مجتمعة تشير في دلالتها مع اختلاف صياغتها إلى أن الموارد البشرية هو كل انسان له القابلية على تقديم المنفعة، إلا أن هذا المفهوم الأخير يجعل للموارد البشرية احتمالين: أحدهما فاعل، فيعد مصدراً للنفع، والآخر كامن في طريقه للنفع والإنتاج. فعلى أساس ما تقدم نُظر للمورد البشري على أنه رأسمال مهم وفعّال وجوهري، ونُظر إليه أيضاً على أنه المصدر الحقيقي للارتقاء بالمؤسسة أو المنظمة التي ترنو أن تنتقل بنفسها من حال إلى حال أفضل، فهو (العنصر التنظيمي الوحيد القادر على استيعاب المفاهيم والأفكار الجديدة التي تساعد على استغلال الفرص ومواجهة التحديات التي تفرضها الظروف البيئية الجديدة)[١١]. فالاهتمام بالموارد البشرية سيختزل الجهد والوقت والمال وسيوفر الكثير من الطاقات والإمكانات خدمة للمشروع، كل ذلك مبنيٌّ على أساس الاهتمام بهذا المورد وتطويره وإدارته إلى مستوى الكفاءة والإخلاص للمؤسسة والمنظمة التي ينتمي إليها المورد البشري كما ذكرنا سلفاً؛ لأن (البشر يشكلون أهم الأصول التي يمكن أن تمتلكها أي منشأة... وينبع ذلك من منطلق أهمية التعامل مع العنصر البشري برعاية وعناية فائقتين، وأن العنصر البشري مصدر غير ملموس يستحق أن يعطى الوقت والاهتمام الكافيين، بالإضافة إلى ذلك لا بد أن ينظر للعنصر البشري كأصول ذات قيمة عالية وليس كمصدر للتكلفة)[١٢]، فيتحول الهدف من منظاره الإنساني الى منظار آلي أو أداتي او اقتصادي فحسب[١٣]. فلم يختلف في أهمية ومحورية العنصر البشري بتاتاً كونه العنصر القابل للتغيير والتطور والقادر على التأثير والتأثر وتطوير ما يحيط به، لا لشيء إلا لأن الإنسان له ملكات وإمكانات تميز بها من بقية الموجودات (ليس لأنه لا ينضب فقط، بل لأنه يتغذى من ذاته، فبقدر ما يستغل هذا المورد بقدر ما يتعلق ويتطور ويزداد غنى، وهنا يكمن بعدهُ الوحيد مقارنة مع ثروات الطبيعة الأخرى)[١٤].

وبناء على ما تقدم (نجد أنفسنا مرغمين على التسليم بجوهرية ومحورية مفهوم المورد البشري لأنه أحد أهم الموارد المهمة والعناصر الأساسية في عملية الإنتاج والتطور، وتماشياً مع رواد هذا المذهب الذين عدوا هذا المفهوم عاملاً وعنصراً في إنجاح المنظمة أو المؤسسة ورائداً متميزاً عن بقية الثروات الطبيعية)[١٥]، وهنا لا بد لنا من ان نفرق بين التنمية البشرية والموارد البشرية؛ فالتنمية البشرية تعد المورد البشري غاية كما هو وسيلة، بل سعت لتوسيع جميع الخيارات أمامه، وما هذا إلا عين الفارق بين المعنيين، كون الأخير

عُدّ مفهوماً مركباً نابعاً من جملة العوامل المتعددة والمتنوعة والمتفاعلة فيما بينها وبين البيئة التي تحيط بها بغية نيل طموحات وخيارات الإنسان (المورد البشري). ولتداخل وتقارب المفهومين فما زال يعمهما الغموض (ولا زال الخلط قائماً بين التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية... إلا أن للتنمية البشرية جانبين، الأول: هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات، والثاني: هو انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة أما بالتمتع بوقت الفراغ أو في الأغراض الإنتاجية أو في الشؤون الثقافية والاجتماعية والسياسية)(١٦). فالمورد البشري في مفهوم التنمية البشرية يُعدّ هدفاً في حد ذاته على خلاف مفهوم المورد البشري الذي يُنظر إليه على أنه وسيلة وأداة، ومن هنا عُد المورد البشري المحور والمنظم والمطور في ذاته، والبيئة التي تحيط به في منظور التنمية البشرية، فهو يؤثر في مجالات الحياة كافة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما نجده يفتقر لخياراته فيها. وبناءً على المفهوم القرآني فان الموارد البشرية كما هو مفهوم من منطوق النص القرآني تعني العملية التي تضمن استثمار المورد البشري وتنمية قدراته وإمكاناته لتطوير المنظومة التي يرتبط بها المورد لتحسين مستوى الأداء والإنتاج وإتاحة المنفعة المرجوة عبر تنمية قدراته البدنية والمعرفية والنفسية والفنية والاجتماعية[١٧]. لذا نستطيع القول: إن التنمية البشرية تتجلى بتعزيز وقبول المورد البشري لذلك زاد الاهتمام بالنمو الإنساني خدمة لذات الإنسان ولتحقيق ما يسعى إليه من خيارات. هكذا ظهر لنا مفهوم الموارد البشرية التي تعد الركيزة الاساسية في التنمية الاقتصادية.

المبحث الثاني
النظرة القرآنية للموارد البشرية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية

يعد بحث النظرة القرآنية للموارد البشرية بصورة عامة الجانب الاهم في توصيف الاسس النظرية لاستثمار الموارد البشرية في القرآن الكريم؛ اذ ان هذه النظرة تمثل البنية التحتية لتأسيس التوصيف الخاص باستثمار الموارد في القرآن الكريم؛ فالمنهج التنموي القرآني بما يستند اليه من رؤيا عامة للإنسان والكون وموقع الانسان في الفلسفة العامة للمنهج وحزمة من الاهداف والغايات يكشف عن فلسفته العامة ذات الموقف المميز. وفي هذا المبحث حديث عن هذه النظرة وذلك المنهج.

المطلب الاول
النظرة العامة للإنسان والكون وعلاقتها بالاستثمار البشري

ترتبط النظرة العامة للإنسان والكون بصياغة النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي حيث يتشكل النظام في ضوء هذه الرؤية ويتخذ طابعه المميز تبعا لمقرراتها، ووفقاً للرؤية الإسلامية فأن النظام الاقتصادي بوصفه الآليات التي تنتج الفعل التنموي هذا النظام رتب وشكل بالصورة التي تلبي متطلبات الرؤية إلى الإنسان وغاية وجوده وضمن الرؤية الكونية الشاملة(١٨). إن ربط القرآن الكريم بين الإشارة إلى غاية خلق الإنسان وهي العبادة وبين الرزق وهو موضوع النشاط الاقتصادي، هي إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة يقول تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد إن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات ٥٦- ٥٨).

وفي موضع آخر يربط القرآن الكريم بين العبادة والعمارة كما في قوله تعالى: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا الله ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) (هود ٦١)، والعمارة هي المصطلح الإسلامي الذي يقابل مصطلح التنمية. والإنسان في الرؤية القرآنية هو سيد المخلوقات، وهو الكائن الذي تتحقق عبره غاية الوجود وهي العبادة، وان الكون ما هو إلا الحيز الأولي الذي يحتضن الإنسان ليتسنى له متابعة سيره التكاملي عبر مجال تكاملي مفتوح (لامتناهٍ)[١٩]، وهذا ما اشار له القرآن في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الإسراء٧٠). (إن الرؤية التي يرسمها القرآن الكريم للإنسان والكون تمثل الحجر الأساس في فلسفة المذهبية الإسلامية في جميع جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهي تنعكس بصورة اشمل على المنهج التنموي الإسلامي الذي يمتد إلى جميع أبعاد المذهبية الإسلامية، بوصف أن عملية التنمية التي يستهدفها الإسلام هي في حقيقتها تلك العملية التي تتمثل بتكيفات النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لصالح

الأهداف العليا للمذهبية الإسلامية، تلك الأهداف التي تتمحور حول هدف مركزي أساس وهو تحقيق السير التكاملي للإنسان وهو ما يطلق عليه الفلاسفة بالسعادة)[٢٠].

إن النظام الاسلامي مصمم بالنحو الذي يتيح للإنسان الحركة في مسار التكامل وصولا إلى الغاية التي خلق من اجلها[٢١]، وان المنهج القرآني في نظرته للانسان يمتد إلى جميع أبعاد هذا التكوين الإنساني. إن مفهوم التنمية هو تنمية الوجود الإنساني عن طريق عملية تطوير للطبيعة بالنسبة لحاجات الإنسان وتطوير للإنسان ذاته بالنسبة لهدفه[٢٢]. إذن موقع الإنسان في المنهج التنموي يوزع على ثلاثة أبعاد:

- البعد الأول: الإنسان موضوع التنمية.
- البعد الثاني: الإنسان وسيلة التنمية.
- البعد الثالث: الإنسان الشرط الضروري لنجاح التنمية[٢٣]. وهنا يطرح القرآن الكريم وصف الإنسان الصالح الذي يستهدفه الإسلام حتى يتمكن من أن يمارس هذا الدور، إذ يرى القرآن وجود الإنسان الصالح هو الشرط الأساسي والضروري لعمل آليات النظام الإسلامي الشامل بما يحقق التنمية، فالعملية التنموية تبدأ من الإنسان نفسه، أي إن الانطلاقة الأولى في التنمية تبدأ من الإنسان نفسه عبر وضع هذا الإنسان على طريق الإصلاح، ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة ممارسة هذا الإنسان للنشاط المؤدي إلى تنمية البيئة الحياتية التي يعيش فيها وتطويرها تنموياً، بيان آخر أن الإنسان الذي يعطي له المنهج التنموي الإنساني موقع قيادة الفعل الاقتصادي والاجتماعي المطور للطبيعة بالنسبة لحاجات الإنسان هو (الإنسان الصالح).

إذن ما للإنسان الصالح نأتي الى ذكر بعضها، وهي:

١- المحتوى الداخلي للإنسان الصالح: يمثل الفكر والإرادة الركنين الأساسيين في المحتوى الداخلي الشعوري للإنسان، وان المزج بين الفكر والإرادة هو الحاكم في حركة الإنسان صوب غايته وأهدافه، وأن التغيير الذي يحصل في هذا المحتوى الداخلي للإنسان هو الضروري والكافي في كافة التغيرات المطلوبة لتحقيق التنمية[٢٤]، ويشير القرآن إلى ذلك في آيات عدة تقرر كل منها جانباً من هذه الحقيقة، ففي قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد ١١)، إشارة إلى أن التغيير يبدأ من المحتوى الداخلي للإنسان. أما قوله تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) (الإنسان٣)، وكذلك قوله: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف٢٩)، في هذه الآيات تصريح بأن الإنسان كائن حر الإرادة وان الإرادة هي نقطة انطلاق في السلوك الإنساني. أما من ناحية الفكر فقد كان خطاب القرآن الكريم دائماً موجهاً إلى من يسميهم (بذوي الألباب) دلالة على أن الفكر هو الجانب من المحتوى الداخلي الذي تريد أن تربيه السماء عند ممارسة دورها في بناء الانسان الصالح الذي هو شرط التنمية الأساس، وورد مخاطبة ذوي الألباب في آيات عديدة منها قوله تعالى: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم

ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً) (آل عمران ١٩١). وفي آية أخرى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (آل عمران١٩٠).

٢-المثل الأعلى للإنسان الصالح: يعد القرآن المثل الأعلى المنطلق الأساس لبناء الإنسان الصالح، فالمثل إلا هو الوصف القرآني لهذا الإنسان الصالح؟ يطرح القرآن عدة صفات وخصائص ليمثل المحور الذي يستقطب عملية بناء المحتوى الداخلي للإنسان الصالح وكذلك هو بالنسبة للمجتمع الإنساني بوصفه وجوداً كلياً بماهية خاصة. إذن نقطة البدء في بناء الإنسان الصالح هو المثل الأعلى، فالمثل الأعلى يحدد الغايات والأهداف على المستويين الكلي والجزئي، وبوصف أن المثل الأعلى هو مرتبط بالرؤية العامة إلى الحياة والكون وهو يتحدد لكل جماعة بشرية على أساس من ذلك[٢٥].

٣- الانسان الصالح والعمل الصالح. الانسان الصالح احدى اهم صفاته انه لا يعمل الا صالحاً، وبكلمة بديلة هو الانسان الذي لا ينتج عنه تلقائياً وبحسب محتواه الداخلي الا العمل الصالح فالعمل الصالح هو صفة السلوك العام لهذا الانسان الذي يستهدفه القرآن. فما هو مقياس الصلاح في الاسلام؟ وما صفات العمل الصالح؟ يرتبط مفهوم العمل الصالح بنوعية الاهداف التي يتبناها الاسلام والتي يرمي إلى تحقيقها ويستوحي منها مفاهيمه الخلقية.

فالإسلام يهتم بدوافع العمل لا بمنافعه يقول تعالى: (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون) (التوبة ١٧). ويرى الاسلام أن العمل يستمد قيمته من الدوافع لا من المنافع، فإذا كانت الدوافع (النوايا) صالحة يكون العمل صالحاً بغض النظر عن المنافع التي تترتب عليه، يقول تعالى: (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) (مريم ٩٦)، ذلك ان الاسلام يهتم ببناء الانسان من الداخل بدرجة اساس (تنمية المحتوى الداخلي للإنسان) لا تنمية الواقع الخارجي فحسب، فالمهم هو ان يكون العمل الذي يحقق نتائج موضوعية مرتبطة بدوافع صالحة، وليس المهم هو العمل بذاته والمنافع التي تترتب عليه بنحو مطلق، ذلك لان صلاح النوايا يعني تنمية ذات الانسان وعمارة هذه الذات وهو الشرط الاساسي في استمرار الفعل التنموي.

إذن قيمة العمل في الاسلام تقاس بالدوافع والمقدمات والاطر الفكرية العامة التي ينبثق عنها هذا العمل، والاطار العام الذي يقرره الاسلام هنا هو الايمان بالله واليوم الاخر، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) (التوبة ١٨). والاهداف والغايات للعمل الصالح اسلامياً هي الاهداف العليا التي يؤمن بها الإسلام، يقول تعالى: (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)

(القصص٨٣). اذن هكذا هي النظرة القرآنية للإنسان وعلاقته بالكون من حوله وكل ذلك له اثره في العملية الاستثمارية.

المطلب الثاني

المبادئ الاساسية لتوظيف الموارد البشرية في القرآن الكريم

يمثل التسخير والاستخلاف المبدأين الأساسيين اللذين يرتكز عليهما البناء النظري التحتي للمنهج القرآني في توظيف الموارد البشرية، إذ تنعكس متضمنات هذه المبادئ على سائر جوانب المنهج التنموي الإسلامي، كما انها تمثل الاطار العام الحاكم لهذا المنهج. ولنحاول الكشف عن هذين المبدأين كما ذكرى في القرآن الكريم.

أولاً: مبدأ التسخير: يشير هذا المبدأ الى عدة حقائق مهمة، اولها عملية التمكين الارادي لمنافع الطبيعة لما به قوام الإنسان، إذ خلقت الطبيعة بمعطيات ومكونات ومقادير وخصائص تكفل للحياة ديمومتها وتطورها، يقول تعالى في ذلك: (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (الفرقان ٢)، وفي آية أخرى: (وكل شيء عنده بمقدار) (الرعد ٨). كما ان القرآن الكريم يؤكد مبدأ كفاية الموارد كما في قوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (ابراهيم ٣٢)، هذه الموارد المبثوثة بالطبيعة هي في طبيعتها وبحكمة خلقها مسخرة للإنسان كفرد وللمجتمع بماهيته العامة، ولكن مع تأكيد ان الإنسان المشرف بالتسخير هو (الانسان الصالح)، والمجتمع المشرف بالتسخير هو المجتمع الصالح، يقول تعالى: (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماءً فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) (ابراهيم ٣٢-٣٤)، هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي تناولت موضوع التسخير تؤكد أن كل ما في الكون من موارد وقوى وطاقات هي بطبيعتها وبتكوينها متاحة امام الانسان لتطويرها بنحو افضل بالنسبة لحاجاته، والإتاحة هذه تتم عن طريق تفاعل القدرات والطاقات الذاتية الكامنة التي يملكها الإنسان مع هذه الموارد لتطوير مستويات تسخيرها، وببيان آخر أن التسخير هو قانون تتحقق نتائجه عند توفر مقدماته والشروط اللازمة لانطباقه، ومن اهم مقدماته هو وجود الخصائص الذاتية للطبيعة بكيفية تجعلها قابلة للتغيير إلى شكل افضل بالنسبة إلى حاجات الإنسان وهذه المقدمة الاولى، والمقدمة الثانية هي توفر الإنسان على قدرات ذاتية كامنة كافية لتسخير قوى الطبيعة[٢٦].

ثانياً: مبدأ الاستخلاف:

الخلافة اصطلاحا تعني النيابة في الحكم والقيادة والتصرف، ومن مقتضياتها المسؤولية مسؤولية المستخلف امام المستخلف[٢٧]. وتحدث القرآن الكريم عن هذه العلاقة بين الله تعالى والانسان الصالح والمثل للجماعة الصالحة وهو آدم (عليه السلام)، يقول تعالى: (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون) (البقرة ٣٠)، وفي آيات اخرى يأتي الخطاب بضمير الجمع يقول تعالى: (اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) (الاعراف ٦٩)، وفي اية اخرى (ثم جعلناكم خلائف في الأرض) (يونس ١٤٠)، وفي موقع اخر: (وهو الذي جعلكم خلائف) (الانعام ١٦٥)، وهذه الآيات تشير الى ان الجماعة البشرية الصالحة هي المستخلفة، هذا الاستخلاف يعني تحمل الجماعة البشرية الصالحة مسؤولية رعاية وتدبير شؤونها عبر القدرات التي وضعها تحت تصرفها المستخلف على وفق قانون التسخير، وبما يوصلها الى صوب الاهداف العليا التي حددها المستخلف، كما انها في حركتها صوب هذه الاهداف تتبع نظاماً حدده المستخلف وهو النظام الاوحد الكفيل بتحقيق اهداف الخلافة[٢٨]. ان الحقائق والنتائج والمضامين التي يقدمها مبدأ الاستخلاف والتسخير تمثل منطلقات أساسية للمنهج التنموي في جانب الموارد البشرية. ومن اهم هذه المنطلقات:

ان التنمية المقصودة هي تنمية لجميع ابعاد الواقع الانساني انطلاقا من المحتوى الداخلي للإنسان وحتى آخر جزء من اجزاء واقعه الحياتي وبما يحقق التمكين يقول تعالى: (وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) (النور ٥٥).

يقدم الإسلام نظامه العام في ضوء مبدأ الاستخلاف، إذ يشمل النظام آليات ومؤسسات بالاستناد الى النظريات المذهبية، كما تشكل منظومة الاخلاقيات والقيم والعواطف الاسلامية الدعامة الاخرى للنظام، هذا النظام مصمم لتحقيق اهداف الاستخلاف وتتجسد فيه مقتضياته، ان هذه المنظومة من الاليات والمؤسسات والقواعد والنظريات ومنظومة القيم تعمل بنسق واحد وبايقاع منتظم لتحقيق التنمية الشاملة المتوازنة[٢٩].

١. إن دور الإنسان الصالح والجماعة الصالحة لعملية التنمية تعتمد على درجة الصلاح، وهي التعبير عن مستوى البناء الداخلي للإنسان الصالح أي مدى نماء فكره ومستوى قوة ارادته، وبكلمة اخرى مدى قوة ايمان الفرد والجماعة البناء العقائدي. ومن جانب اخر يعتمد دور الانسان الصالح والجماعة الصالحة في التنمية على درجة تسخير القدرات والطاقات الكامنة اللازمة لتطوير الطبيعة بنحو افضل بالنسبة لحاجات الإنسان. ويضاف الى ما سبق دور الدولة ومسؤوليتها في تحمل اعباء الخلافة بوصفها المؤسسة الكبرى الممثلة للمجتمع[٣٠].

اذن هذه هي المبادئ الاساسية في استثمار الموارد البشرية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث
الموارد البشرية والتنمية الاقتصادية

يتصور الكثير من الدارسين والباحثين في الحقل الاقتصادي وخصوصاً في مجاله التنموي أن نشاط التنمية الاقتصادية هو عبارة عن: (عملية بموجبها تستخدم دولة مواردها المتاحة لتحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي يؤدي إلى زيادة مطردة في دخلها القومي وفي نصيب الفرد من السلع والخدمات، وتتطلب هذه التنمية التغلب تدريجياً على المعوقات الاقتصادية وتوافر رؤوس الأموال والخبرة الفنية والتكنولوجيا)[٣١]، لكن لا يُعدّ ذلك مسوغاً أن تكون غاية التنمية الاقتصادية ذلك النشاط الضيق ذا الأفق المحدود. فالتعريف بالمنهج الإسلامي والقرآني للتنمية الاقتصادية أكثر شمولاً بحيث يُعدّ تنمية شاملة ومتوازنة غايتها الإنسان نفسه، فهي شاملة؛ لأنها تتضمن توفير الحاجات البشرية كافة، ومتوازنة؛ لأنها لا تستهدف الكفاية فحسب، مثل زيادة الإنتاج، بل تستهدف تحقيق العدالة وعدالة التوزيع[٣٢]. قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور) (الملك: ١) فالآية المباركة تشرع النشاط الاقتصادي على أساس الجعل الإلهي وتبين مقدمته، كالأرض التي جعلها (مطاوعة منقادة لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها وتمشوا فيها تأكلون من رزقه الذي قدره لكم بأنواع الطلب والتصرف فيه)[٣٣].

قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا﴾ فمدلولها (الإباحة توجيهاً وحثاً للأمة على السعي والعمل الجاد والمشي في مناكب الأرض)[٣٤]، وفي الآية إشارة إلى تشريع النشاط الاقتصادي. لم يكن القرآن الكريم عائقاً أو منكراً للجانب الاقتصادي في العملية التنموية، فهو أقر أهمية المجال الاقتصادي وآثره علم الاقتصاد الذي عده محوراً مهماً فيتكامل المجتمع وإدامة الحياة وقد بين أهمية تطوير الإنتاج ورفع مستوى دخل الفرد بغية تأمين متطلباته، إلا إن الموقف انحسر في المذهب الاقتصادي الآيديولوجي الذي يُعدّ الموجّه للفعاليات الأربع: الإنتاج، والتوزيع، والتبادل، والاستهلاك. بحيث ارتبطت حركة هذه الفعاليات بعملية التنمية لاقتصادية، أما في المنظور الإسلامي فترتبط نظرية الإنتاج بمتطلبات التوزيع العادل، أما على مستوى القيمة فإن الإسلام لا يربط الأمور الاقتصادية للإنسان بالحاجة والمنفعة، بل يربطها بالحق في حصول كل فرد على قوته وتحسين معيشته. بينما نجد أن الهدف من الاستهلاك في التنمية الاقتصادية الإسلامية هو تحقيق المزيد من الإنتاج والنمو عبر استثمار الجهد البشري، وهذا يُعدّ أفضل طريق نحو تحقيق النمو الاقتصادي وخلق فعل التوازن بين الاستهلاك والإنتاج[٣٥].

فالمنظور القرآني والإسلامي لم يرفض النمو الاقتصادي، إلا انه يرفض أن يكون معيار النمو الاجتماعي وتكامله على أساسه، فمن الخطأ أن تكون التنمية البشرية لها وضع أن (يجعل من الإنتاج مقياساً لها بحيث إذا توفر نمو وزيادة في الإنتاج كانت هناك تنمية، وإذا

انتفى انتفت)[٣٦] فلا يصح إطلاقاً أن يكون المعيار التنموي مادياً بحتاً متمثلاً في الإنتاج والاستهلاك لما أنتج، بل تُعدّ التنمية الاقتصادية جزءاً من كل في منظومة التنمية البشرية عموماً. ان النظام الاقتصادي الإسلامي ينظر إلى الملكية الخاصة نظرة مختلفة تماماً عما تعارف عليه في النظم الوضعية، فالإسلام تعامل مع الملكية الخاصة على أساس مفهوم الخلافة، تحولت الملكية في الإسلام إلى أداة لا غاية، وسيلة لتحقيق الهدف من الخلافة العامة وإشباع حاجاته الإنسانية[٣٧]، قال تعالى: (أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (الحديد:٦) مما يقتضي على الخليفة أن يكون وكيلاً مستأمناً عما وكل عليه، وكذا فإن (طبيعة الخلافة تفرض على الإنسان أن يتلقى تعليماته بشأن الثروة المستخلف عليها ممن منحه تلك الخلافة).[٣٨] إن من مقتضيات هذه الخلافة الربانية أن يكون الخليفة –الإنسان- مسؤولاً بين يدي الله تعالى على ما استخلفه، خاضعاً لرقابته في كل تصرفاته وأعماله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس٤١).

لم يقف الأمر عند جعل الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، بل تعدى ذلك ليصل الأمر أن سخر له ما فيها خدمة له ولتنمية ذاته وما يحيط به، وقد عدت الموارد الطبيعية جميعاً طريقاً موصلاً لسد حاجاته وتأمين متطلباته. والدليل على أن الموارد الطبيعية التي تُعدّ أحد أهم عناصر العملية الاقتصادية وتكاملها هي مسخرة للإنسان بالمنظور القرآني، قال الله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِه وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جميعاً مِنهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون) (الجاثية:١٢-١٣) والتسخير أي انه تعالى خلقها جميعاً لانتفاع الإنسان بها، فهي مسخرة له من حيث الانتفاع بها على الوجه الذي يريده[٣٩]، ومعنى (أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده أنه تعالى مكونها وموجودها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه).[٤٠]

فالتنمية البشرية ومجالها الاقتصادي في القرآن الكريم واسع ورحب وله صور متعددة، اعتمدت على استيعاب العملية الاقتصادية مادياً وروحياً؛ لان التنمية بهذا النمط تصنع الحياة، وأن التنمية -التنمية الاقتصادية على سبيل المثال- تتجلى في العمل على ترسيخ القيم الإنسانية العليا، فإذا غلبت هذه القيم على الاهتمامات المادية سينقلب الركود الاجتماعي إلى حراك، والتدهور الاقتصادي إلى رفاه، والفوضى السياسية إلى استقرار، والعبث الثقافي إلى وعي والتزام[٤١]، وما الخلل الروحي والأخلاقي إلا أحد أهم العوامل لتقهقر وتراجع الإنسان ومنظومته الإدارية بصورة عامة والاقتصادية بصورة خاصة[٤٢]؛ لأن التنمية البشرية التي تُعدّ متكاملة يجب أن تكون شاملة، وأن شموليتها بلا شك تقتضي أن تأخذ لون ونمط وحركة الإنسان الذي يُعدّ هو الموضوع فيها وهو الهدف والوسيلة. هكذا يظهر لنا اهمية الموارد البشرية في عملية التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم، فالتنمية البشرية وجانبها الاقتصادي في المنظور القرآني لها مجالات وصور متعددة استطاعت احتواء مفاصل المسارات الاقتصادية كافة، مما ألزم وجود محددات لمنهجها تكون ضابطة لتحقيق عملية الانسجام بين

ضرورة تلبية الحاجات البشرية والحفاظ على القيم والمثل وفلسفة أصول وجود الإنسان، وبين أهدافه الدنيوية وغاياته الأخروية، لكي تكون تلك المحددات[٤٣] منعطفاً لإنجاح الرؤية الاقتصادية المتوازنة مما يسبب تجانساً واضحاً بين الإنسان وعلاقته بزيادة الإنتاج وعدالة التوزيع كقضية صغروية من جهة، وبين الإنسان وعلاقته بالمنظومة القيّمية وآثارها من جهة أخرى؛ لأن المشكلة الاقتصادية لا تكمن في عملية الإنتاج والتوزيع فحسب، بل تفتقر لفهم الإنسان إلى ذات المفهوم، كما تفتقر لدافع الإنتاج ومحرك ديمومته الذي يمثل الهيكل التنظيمي للمشروع الاقتصادي وسياسته ولعناصر المناهج الاقتصادية، وهذا ما عُدَّ سبباً واقعياً في تباين المدارس الاقتصادية نظرياً وتطبيقياً(٤٤). هكذا يكون المفهوم القرآني للاستثمار والتنمية في دائرة الموارد البشرية وهو مفهوم متميز من المدارس الاقتصادية الأخرى.

الخاتمة

بعد هذا الاطافة مع هذا البحث يمكن لنا تلخيص اهم النتائج التي خرج بها البحث بالاتي:

١- إن استقراء النصوص الشرعية والمبادئ العامة التي جاء بها القرآن الكريم تظهر أنه قد وضع قواعد وقيماً عظمى لتحقيق تنمية الموارد البشرية، عن طريق حثه على العمل وتحقيق التنمية المتكاملة بمختلف صورها.

٢- إن نجاح برامج التنمية البشرية يعتمد بصورة أساسية على مراعاة القيم الأخلاقية في مجال التعامل مع الإنسان والبيئة التي يعيش فيها.

٣- جاء الإسلام بدعوة الإنسان للافادة مما في الأرض من موارد ومقدرات على وفق ضوابط خاصة من غير إفراط ولا تفريط. ولم تقتصر الإسلام في هذا المجال على تحديد أساليب الثواب للمحسنين والعقاب للمسيئين، بل تعدّى ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع التنمية سلوكاً حميداً يجب أن يلتزم به المسلم ويحرص على أدائه بإتقان وإحسان.

٤- عن طريق سير البحث يقدم القرآن الكريم مجموعة من الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي التي توضح طبيعة هذا المنهج وخصوصيته وتميزه، فهو يستند الى رؤية شاملة متكاملة للإنسان والكون، تنعكس اشعاعات هذه الرؤية في صياغة جوانب المنهجية التنموية الإسلامية المؤسسة على ركائز اساسية تتمثل بمبدأ التسخير والاستخلاف والمنهج التكاملي المفتوح.

٥-عبر هذه الفلسفة العامة التي يستند اليها المنهج التنموي الاسلامي وفي ضوء مبدأي الاستخلاف والتسخير تتضح الخطوط الاساسية لمنهجه التنموي والتي تتمثل بمنهج التمكين الاقتصادي والاجتماعي الذي يمثل المضمون الاساسي للخطاب التنموي الاسلامي، كما يعبر عن ملامحه الاساسية، فضلاً عن دور الدولة في المنهج التنموي الاسلامي الذي يمثل الجانب الثاني المميز من مضامين الخطاب التنموي الإسلامي.

٦-على الرغم من تنوع ضوابط المنهج الإسلامي للاستثمار فأنها تتكامل فيما بينها من جهة، ومن جهة ثانية تتكامل في مجموعها مع ضوابط بقية الأنشطة الاقتصادية كضوابط الإنتاج وضوابط الاستهلاك وغيرها، فلا يمكن للنشاط الاستثماري أن يحقق الأهداف المنوطة به إذا اقتصر العمل ببعض ضوابطه من دون بعض أو اقتصر على العمل بالضوابط الاستثمارية من دون غيرها من الأنشطة الاقتصادية المختلفة.

٧- إن موضوع التنمية في الموارد البشرية هو الإنسان، بل هو موضوع لمفهوم مركب، يكون فيه الإنسان هو الوسيلة والهدف في الوقت نفسه، ويتجلى ذلك وضوحاً حين نجد أن غرض وغاية التنمية البشرية هي المحاولة الجادة لردم الهوة وتقليل الفارق بين ما هو كائن للإنسان وما ينبغي أن يكون، والتنمية البشرية لها أهدافها الخاصة بحيث تُعدّ

كل الأهداف الصغرى وسيلة إليه، فكل هدف صغير هو وسيلة لهدف أكبر منه، وكل هدف كبير هو غاية لهدف أصغر منه وصولاً إلى الغاية الكبرى التي تنضوي تحتها كل الأهداف لتأمين الغاية الكبرى من وجود الإنسان أصلاً.

٨- إن الموارد البشرية لها اهميتها في مجال الاستثمار الاقتصادي في المنظور القرآني، وان هذه الموارد ذات قيمة كبيرة لا تقل اهمية عن بقية الموارد، بل جعل القرآن الكريم المورد البشري هو الاساس في التنمية والاستثمار الاقتصادي.

التوصيات والمقترحات

١- يجب على الدول والمؤسسات المالية والهيئات المهتمة بالاقتصاد الإسلامي وقضاياه أن تنشئ مراكز للأبحاث المتخصصة في المنهج الإسلامي للاستثمار وضوابطه المتنوعة، فيمكنها مثلاً أن تقوم بدراسات تحليلية إحصائية اقتصادية، أو نفسية أو اجتماعية، كأن تقوم بدراسة مدى التزام مجتمع إحصائي من المستثمرين بالضوابط العقدية، أو بضابط السلامة البيئية ونحو ذلك من الدراسات.

٢- إننا اليوم بعد مرور نحو سنين عديدة من التجارب الاقتصادية ومن السياسات التنموية المبنية على اختيارات غربية، لا زلنا نراوح مكاننا، بل ازداد وضع اقتصادياتنا سوءاً، وعليه وجب إدراك الدول النامية أنه لا يمكن استيراد سياسات تنموية لا تتوافق مع واقع شعوبها وآمالها، وخاصة منها البلدان الإسلامية، إذ إن هذه السياسات جلبت أصلاً من بلدان غير إسلامية، واقعها الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي يختلف في الجوهر -لا في الفروع فقط- مع واقع الدول الإسلامية. إن البحث في تراثنا الإسلامي عن سياسات اقتصادية ملائمة تمكن من تحقيق التنمية يعد فريضة وضرورة يمليها الواقع الاقتصادي المزري الذي تعيشه جل الدول الاسلامية، وفي تقديرنا أن نقطة الانطلاق تكمن في العودة إلى نصوص التنزيل العزيز وفهمها فهما عصريا واستخراج المكنونات الاقتصادية والاستثمارية منها.

هوامش البحث

(١) - أصول الإدارة- د. محمد عساف - الكاتب، القاهرة، ١٩٧٩ م.ص ١٥١-١٥٢

(٢) - ينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي –دار المحجة البيضاء- ص٧١.

(٣) - هناك فرق بين رأس المال البشري وبين الموارد البشرية، فقد فرق بينهما الباحثون والمهتمون، إذ عرف الأول: ويقصد به القدرات الإنتاجية للأفراد سواء الموروثة أم المكتسبة، بينما عرف الثاني بأنه: تنمية الإنسان بوصفه المحرك الرئيس لعمليات الانتاج كما انه في الوقت نفسه المستهلك، ويتوقف استغلال الموارد الطبيعية على قدرة الإنسان على الابتكار وتطور الموارد، ومن هنا كان التدخل بين هذين النوعين من الموارد. ينظر: معجم مصطلحات التنمية البشرية- حسام الدين جاد الرب-روافد للنشر والتوزيع – القاهرة –ص١١٥.

(٤) -مسار التنمية البشرية، ٣٤ ،www.reefnet.gov.sy/boosproject/fikr/8/nathrat.pdf موقع إلكتروني.

(٥) - المصدر نفسه، ٣٤، وينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي-ص٧٢

(٦) - إدارة الموارد البشرية- نادر ابو شيخة- ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، ط ١، ٢٠٠٠، ص١٩.

(٧) - إدارة الموارد البشرية- نادر ابو شيخة –ص٢٧

(٨) - إدارة الموارد البشرية- مصطفى نجيب شاويش- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان: الأردن- ط٣-٢٠٠٠-ص٢٧.

(٩) - معجم المصطلحات الإدارية- د. محمد ابراهيم التويجري- ومحمد عبد الله البرعي، مكتبة العبيكان. الرياض: المملكة العربية السعودية- ط١، ١٩٩٣، ص٣٠.

(١٠) - دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية- جمال محمد أحمد عبدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع/ الأردن، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٤٥.

(١١) - إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي تكاملي- مؤيد سعيد السالم- مكتبة الجامعة الشارقة، إثراء للنشر والتوزيع الأردن- ط ١-٢٠٠٩م- ص ٢٦.

(١٢) - إدارة الموارد البشرية، جوناثان سيملانسكي- ترجمة هند رشدي- كنوز للنشر والتوزيع، مصر القاهرة- ص٨.

(١٣) - ينظر: التنمية البشرية في القرن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص٧٣.

(١٤) - إدارة الموارد البشرية، جان مارك لوغال، ترجمة العميد الركن د. نبيل جواد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٥-٦.

(١٥) - التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص٧٤.

(١٦) - دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، الدكتور: نبيل النواب، الجهود العربية في تبني مفاهيم وإعداد تقارير التنمية البشرية المستدامة (تجربة سلطنة عمان) المطبعة العربية. ص٣٥١.

(١٧) - ينظر : التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص٧٥.

(١٨) - ينظر: المذهب الاقتصادي في الاسلام، جعفر عباس حاجي، مكتبة الالفين -١٩٨٧-ص١٤-١٥.

(١٩) -فلسفتنا –محمد باقر الصدر – مؤسسة النبراس للطباعة والنشر النجف الاشرف- ص٣٦-٤٥.
(٢٠) - الهدف السامي للحياة الانسانية –مرتضى المطهري – مؤسسة الثقلين الثقافية -٢٠٠٥-ص٤٩-٥٠.
(٢١) - المدرسة القرآنية – محمد باقر الصدر – شريعت- قم -١٤٢٤- ص١١٦.
(٢٢) - اقتصادنا – محمد باقر الصدر – طبعة قم – ١٤٢٤- ص٦١٠
(٢٣) - الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي في القرآن الكريم – طالب حسين الكريطي- بدون دار طبع –ص١١٨.
(٢٤) - ينظر :المصدر نفسه –ص١١٨.
(٢٥) - ينظر: الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي في القرآن الكريم – طالب حسين الكريطي- ص١١٩.
(٢٦) - ينظر: الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي في القرآن الكريم – طالب حسين الكريطي- ص١٢٤.
(٢٧) - من مبادئ الاسلام الخلقية في المعاملات المالية- عبد الستار حامد الدباغ– مجلة الجامعة الاسلامية – السنة ١١- العدد ١٤-٢٠٠٤-ص١١.
(٢٨) - الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي في القرآن الكريم – طالب حسين الكريطي- ص١٢٥.
(٢٩) - الاسلام والتحدي الاقتصادي – محمد عمر شابرا- ترجمة محمد زهير السمهوري – المعهد العالمي للفكر السلامي ١٩٩٦-ص٣٤-٣٥.
(٣٠) - دور الدولة في المذهب الاقتصادي الاسلامي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد– جامعة القادسية – اعداد طالب حسين الكريطي- ٢٠٠٥-ص ١٩٤-١٩٨.
(٣١) - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية- احمد زكي بدوي- مكتبة لبنان بيروت ط٢-١٩٨٩ - ص١٢٣.
(٣٢) - ينظر: التنمية الاقتصادية في الإسلام- فؤاد شندي- ص٦١-٦٢.
(٣٣) - الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي- مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ط١- ١٤٠٢-١٩٧٧-ج١٩-ص٣٧٣.
(٣٤) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الامين الشنقيطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان -١٩٩٥-ج٨ ص١٢٣٨.
(٣٥) - ينظر: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة دراسة مقارنة في الجزائر وماليزيا –د. ناصر يوسف – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت- ص ٧٥-٧٦.
(٣٦) -المكتبة الإسلامية، مفهوم التنمية، موقع إلكتروني.- www.islamweb.net/newlibrary/ummah_Chapter.php?lang
(٣٧) - ينظر: اقتصادنا – محمد باقر الصدر –ص٥١١، والتنمية البشرية في القرآن الكريم– دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص٣٧٠-٣٧١.
(٣٨) - اقتصادنا – محمد باقر الصدر- ص٥٠٧.
(٣٩) -ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن – ابو علي الفضل بن حسن الطبرسي- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان- م٥-ص١٢٩.
(٤٠) - مفاتيح الغيب-التفسير الكبير- محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي- تقديم وتحقيق- هاني الحاج عماد زكي البارودي- المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر –دار التوفيقية للطباعة- م١٤-ص ٢٣٢.
(٤١) - ينظر: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة- ناصر يوسف- ص ٦٨.

(٤٢) -ينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي-٣٧٢.
(٤٣) - لقد عد الدكتور ناصر يوسف عدة محددات في المنظار الإسلامي للحركة الاقتصادية أهمها: تقوى الله، واحترام الإنسان، وإتقان العمل، ومراعاة الملكية، وترشيد الإنفاق، والزكاة، وتحريم الربا، وحيازة التقنيات «التكنولوجيا»-ينظر: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة- ص ٧٠-٧٤ وينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص٣٧٤.
(٤٤) - التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- ص ٣٧٣-٣٧٤.

قائمة المصادر والمراجع

١. إدارة الموارد البشرية، جوناثان سيملانسكي- ترجمة هند رشدي- كنوز للنشر والتوزيع، مصر القاهرة.
٢. إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي تكاملي- مؤيد سعيد السالم- مكتبة الجامعة الشارقة، إثراء للنشر والتوزيع الأردن- ط ١-٢٠٠٩م.
٣. إدارة الموارد البشرية- مصطفى نجيب شاويش- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان: الأردن- ط٣- ٢٠٠٠.
٤. إدارة الموارد البشرية- نادر ابو شيخة- دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، ط١، ٢٠٠٠.
٥. إدارة الموارد البشرية، جان مارك لوغال، ترجمة العميد الركن د. نبيل جواد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط١، ٢٠٠٨م.
٦. الاسس النظرية للمنهج التنموي الاسلامي في القرآن الكريم- طالب حسين الكريطي- بدون دار طبع.
٧. الاسلام والتحدي الاقتصادي- محمد عمر شابرا- ترجمة محمد زهير السمهوري – المعهد العالمي للفكر السلامي ١٩٩٦.
٨. أصول الإدارة- د. محمد عساف- الكاتب، القاهرة، ١٩٧٩م.
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الامين الشنقيطي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت لبنان- ١٩٩٥.
١٠. اقتصادنا – محمد باقر الصدر – طبعة قم – ١٤٢٤.
١١. التنمية الاقتصادية في الإسلام- فؤاد شندي-
١٢. التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية – طلال فائق الكمالي- دار المحجة البيضاء-
١٣. دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، الدكتور: نبيل النواب، الجهود العربية في تبني مفاهيم وإعداد تقارير التنمية البشرية المستدامة (تجربة سلطنة عمان) المطبعة العربية. دور الدولة في المذهب الاقتصادي الاسلامي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد- جامعة القادسية- اعداد طالب حسين الكريطي- ٢٠٠٥.
١٤. دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية- جمال محمد أحمد عبدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع/ الأردن، مؤسسة الرسالة / بيروت،ط١ ، ١٩٨٤م.
١٥. دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة دراسة مقارنة في الجزائر وماليزيا –د- ناصر يوسف – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.
١٦. فلسفتنا –محمد باقر الصدر – مؤسسة النبراس للطباعة والنشر النجف الاشرف.
١٧. مبادئ الاسلام الخلقية في المعاملات المالية- عبد الستار حامد الدباغ- مجلة الجامعة الاسلامية – السنة ١١- العدد ١٤-٢٠٠٤.

١٨. مجمع البيان في تفسير القرآن– ابو علي الفضل بن حسن الطبرسي- منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان- م٥-
١٩. المدرسة القرآنية – محمد باقر الصدر – شريعت- قم -١٤٢٤-
٢٠. المذهب الاقتصادي في الاسلام، جعفر عباس حاجي، مكتبة الالفين -١٩٨٧.
٢١. مسار التنمية البشرية، www.reefnet.gov.sy/boosproject/fikr/8/nathrat.pdf موقع إلكتروني.
٢٢. معجم المصطلحات الإدارية- د- محمد ابراهيم التويجري- ومحمد عبد الله البرعي، مكتبة العبيكان. الرياض: المملكة العربية السعودية- ط١، ١٩٩٣.
٢٣. معجم مصطلحات التنمية البشرية- حسام الدين جاد الرب-روافد للنشر والتوزيع – القاهرة.
٢٤. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية- احمد زكي بدوي- مكتبة لبنان بيروت ط٢-١٩٨٩.
٢٥. مفاتيح الغيب-التفسير الكبير- محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي- تقديم وتحقيق- هاني الحاج عماد زكي البارودي- المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر –دار التوفيقية للطباعة- م١٤.
٢٦. المكتبة الإسلامية، مفهوم التنمية، موقع إلكتروني.- www.islamweb.net/newlibrary/ummah_Chapter.php?lang
٢٧. الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي- مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١- ١٤٠٢-١٩٧٧-ج١٩.
٢٨. الهدف السامي للحياة الانسانية –مرتضى المطهري – مؤسسة الثقلين الثقافية -٢٠٠٥.